((الجذور التاريخية لموضوعة المسألة المصرية قبل عام ١٨٠٥))

أ.د. علي هادي المهداوي
جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الانسانية

علي جليل جاسم منصور
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية
hum.ali.j @uobabylon.edu.iq

الملخص

تقع مصر في الطرف الشمالي الشرقي للقارة الأفريقية، ويقع جزء منها وهو شبه جزيرة سيناء في الطرف الغربي من آسيا، وهي بذلك تشغل جزءاً آسيوياً وجزءاً افريقياً، وهي من الدول المعدودة في العالم التي تمد أراضيها على قارتين، وهي تطل على بحرين هما البحر المتوسط والبحر الاحمر وبسواحل طويلة، ويتوسطها نهر النيل، وقد أثر موقع مصر الجغرافي بين أوروبا والشرق في تاريخها، وهو ما منحها وضعا استراتيجيا إزدادت أهميته بعد عجز الدولة العثمانية عن حمايتها، وبحكم ذلك كله توجهت أنظار الأوربيين نحو مصر بوصفها معبراً وطريقاً تجارياً حيوياً يربط الشرق بالغرب، على مدار القرنين التاسع عشر والعشرين، وقد منحت هذه العوامل الجغرافية مصر أهمية خاصة كرقعة استراتيجية لم تتفتح لها الأعين الاوروبية إلا مع الحملة الفرنسية والتي كانت بداية للتدخل الاوروبي الحقيقي في الشؤون المصرية.

جعل مصر تعيش ظروفاً اجتماعية واقتصادية وسياسية غير مستقرة منذ الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م، أفضت إلى جملة من التطورات السياسية لعل ابرزها هو المسألة المصرية، وقد كان هناك من الأسباب ما يبرر إطلاق هذا الوصف على مصر، فاللفظ غالبا ما يستخدم في السياسة الدولية للتعبير عن تداخل عدد من العوامل والدول لتحديد وضعية دولة أو منطقة، ويكون تدخل كل دولة ناتجا عن اختلاف المصالح والرؤى، وهذا ما حدث لمصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، إذ إن الأوضاع في مصر على مدار أربع حقب منذ عام ١٧٩٨وحتى ١٨٤١ كانت مرتبطة أرتباطا وثيقا بما يدور في النظام الأوربي تؤثر فيه وتتأثر به، وتتفاعل مع جميع التطورات فيه، وهو ما جعلها بحق مسألة دولية .

الكلمات مفتاحية: المسألة المصرية، الاحتلال الفرنسي، التنافس الأوربي، الصراع الفرنسي، البريطاني، المصالح والرؤى .

Abstract

Egypt is located in the northeastern tip of the African continent and is part of a Sinai Peninsula on the western edge of Asia, and thus occupy an area of Asian part and part African, and the few countries in the world that its territory is situated on two continents, and overlooks the two seas Mediterranean and the Red Sea and spaces long and adorned with the Nile River, this geographical location between Europe and the Middle impact on its history, which awarded a situation strategically, the more important the inability of the Ottoman Empire to protect them, and by virtue of it all headed for the attention of Europeans towards Egypt being expressive and commercialization pathway vital link between the East and the West, throughout the nineteenth and twentieth, and we have this geographical factors awarded to Egypt especially important Krqah strategy did not bloom with European eyes, but with the French campaign and that was the beginning of a real European intervention in Egyptian affairs.

Make Egypt a living, economic, political and social conditions of unstable since the French campaign in 1798, led to a series of political developments, perhaps the most notable is the Egyptian issue, and there was reason Meiberr launch of this description on Egypt,

Vallfez often Maystkhaddm in international politics to express overlapping number of factors and states to determine the status of a country or region, and will be entering each country due to the different interests and visions, and this is what happened to Egypt during the first half of the nineteenth century, as the situation in Egypt over four periods since 1798 and until 1841 was closely linked to what is happening in the system European affect it and affected by it, and interact with all the developments in it, which made it a truly international issue.
Key word: Egyptian issue, the French occupation, European competition, French - British conflict, Interests and visions.

الجذور التاريخية لموضوعة المسألة المصرية قبل عام ١٨٠٥

مقدمة:

أصبح مستقبل مصر السياسي أمراً يخص الدول الكبرى في الشؤون السياسية الأوروبية، سيما بريطانيا وفرنسا، فلم تكن ظروف السياسة الأوروبية وموازين القوى فيه تسمح لأي من الدولتين تنفيذ مخططها لإحتلال مصر، وهو ما فرض عليهما اللجوء للبديل التقليدي للاحتلال واستخدام سياسة جديدة، تمثلت في خلق نظما وقيادات سياسية موالية لهما في مصر، فلم يخف على فرنسا وبريطانيا أن الدولة العثمانية غير قادرة على بسط سلطتها على مصر في ظل وهنها وهوان قوتها وحالها داخل الأسرة الأوروبية.

الجذور التاريخية:

استخدم مصطلح المسألة غالبا في السياسة الدولية للتعبير عن تداخل عدد من الدول والعوامل لتحديد وضعية دولة أو منطقة، فاستخدمت موضوعة" **المسألة المصرية** " لوصف مصر وعلاقتها بأوروبا مع بداية الحملة الفرنسية نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، إذ إن مصر منذ عام ١٧٩٨ وحتى عام ١٨٧٩ أرتبطت ارتباطا وثيقا بما يدور في السياسة الأوروبية ، تؤثر فيه وتتأثر به[١] .

طلبت فرنسا رسمياً من الدولة العثمانية السماح لها بحماية الحجاج المسيحيين الزائرين للاماكن المقدسة في الشرق، ولاسيما مصر[٢]، على أساس أن الأخيرة احتضنت أول كنيسة مسيحية منذ القرن الأول الميلادي، كما إنها كانت تعد ممراً لأراضي المسجد الاقصى في فلسطين، ومما يذكر أنه كان هنالك تنافساً شديداً بين الدول الأوروبية من اجل الحصول على موطئ قدم في الشرق، وبهذا الشأن شدد المفكر الالماني ليبنتز[٣] في مذكراته: " **بأن ولايات أوروبا يجب أن لا تنافس أو تحارب احدها الأخرى على اعتبار إنهم على الديانة المسيحية، لذلك يجب أن تشن حملاتها وحروبها ضد أناس العالم غير المسيحي** [٤].

وبدأت فرنسا تواجه تنافساً كبيراً من الدول الأوربية الأخرى، ولاسيما بريطانيا وروسيا اللتان كانتا تطالبان بحق حماية الأماكن المقدسة في الشرق كذلك، بعد أن بدأ الضعف يظهر تدريجيا في الدولة العثمانية، ولاسيما بعد هزيمتها في حربها مع الروس عام ١٧٧٤،إذ أثبتت هذه الحرب ضعف الدولة العثمانية [٥]، وكان من نتائجها عقد معاهدة كوجك كينارجي في الثاني والعشرون من تموز عام ١٧٧٤[٦].

وازداد اهتمام الفرنسيين بمصر بعد ما ظهر مايسمى بالمسألة الشرقية [٧]، فبدأ الفرنسيون يتقربون من الدولة العثمانية ويعملون على تقوية علاقاتهم بمصر، وكان من نتائج ذلك التقرب عقد معاهدة تجارية مع حكام مصر عام ١٧٨٥ للحصول على تسهيلات النقل التجاري عبر مصر[٨].

المصالح والرؤى الأوربية في مصر :

لم تأت فكرة احتلال فرنسا لمصر على نحو مفاجئ [٩]، وإنما كان نابليون بونابرت يفكر بطريقة معينة لمهاجمة بريطانيا في الشرق وقطع طريق الاتصال بينها وبين مستعمراتها[١٠]، وفي ذلك الوقت كان نابليون ووزير الخارجية الفرنسية شارل (1754–1838) (Charles) [١١] كلاهما يحثان الحكومة الفرنسية بضرورة إرسال حملة عسكرية إلى مصر من أجل تهديد مركز بريطانيا وكانا قد اعتقدا أن ذلك يكون أفضل من الهجوم المباشر على الجزر البريطانية نفسها[١٢]، فضلاً عن رغبة نابليون في تأسيس إمبراطورية فرنسية في الشرق واقامتها على قاعدة قوية لغزو الهند[١٣].

انطلقت الحملة الفرنسية من ميناء طولون في اليوم التاسع عشر من آذار عام ١٧٩٨ بقيادة نابليون بونابرت[١٤] وكان برفقته عدد من القادة العسكريين الكفوئين فضلاً عن مجموعة من العلماء والفنانين والمهندسين وعلماء الرياضيات وعلماء طبقات الأرض والآثاريين والكيميائيين ليدل على الاهتمام الكبير الذي أبداه نابليون بالدرجة الأساس في الأمور المدنية والعلمية، وهو بذلك أراد أن يستخدم هؤلاء العلماء والفنانين في دراسة الحياة المصرية[١٥] .

وتابع نابليون تقدمه إلى مصر، حيث توجه نحو الإسكندرية فاحتلها في الثاني من تموز عام ١٧٩٨ ومن ثم زحف نحو القاهرة ودخلها في الثالث والعشرين من تموز من العام نفسه بعد أن اشتبك الفرنسيون والمماليك في معركة الأهرام أو(إمبابة)[١٦]، ويصف المؤرخ المصري المعاصر للحملة الفرنسية عبد الرحمن الجبرتي السنة التي احتل فيها نابليون مصر على النحو الآتي:– " **أول سني الملاحم العظيمة، والحوادث الجسيمة، والوقائع النازلة، والنوازل الهائلة، وتضاعف الشرور، وترادف الأمور، وتوالي المحن، واختلال الزمن،وانعكاس المطبوع، وانقلاب الموضوع، وتتابع الأهوال، واختلاف الأحوال، وفساد التدبير، وحصول التدمير، وعموم الخراب، وتواتر الأسباب**" [١٧].

وحاول نابليون إقناع المصريين بقبول الاحتلال، فأعلن لممثلي مصر أنه لا يرغب بتغيير شيء من النظم القائمة أو الضرائب التقليدية، وأكد لهم إنه لم يفكر إلا في استئصال الاستبداد التعسفي، وان يضع خطة لجباية الضرائب، ويعمل على تخليص المصريين من حكم العثمانيين ، ووعدهم بنظام راقٍ، وحكومة عادلة وأنه سيحافظ على العادات والآداب الشرقية والتقاليد الإسلامية[١٨].

وبعد أن استقر نابليون في مدينة القاهرة وهزيمة المماليك، سعى إلى ادخال بعض الإصلاحات في مصر والعمل على تنظيم الحكومة حسبما تقتضيه المصلحة الفرنسية، وأول عمل قام به كان تنصيب أحد رجالهِ الجنرال ديبوي (Dupuy)[١٩] حاكماً على مدينة القاهرة فضلاً عن تعيين رجلٍ آخر مديراً للشؤون المالية، كما شكل ما يسمى بـ (الديوان) وهو يتألف من مجموعة من مشايخ البلد والتجار والفلاحين، وأنشأ دواوين أخرى كان القصد من إنشائها كسب ثقة المصريين وتأييدهم، ورغم حصوله على تأييد بعض عناصر المجتمع المصري، إلا أن ذلك كان تأييداً ظاهرياً، ويعود سبب ذلك إلى نظرة الريبة وعدم الثقة بالفرنسيين لأنهم جاءوا إلى مصر محتلين[٢٠]، وعنى نابليون كذلك بالشرطة وأنشأ بعض المجاميع العسكرية التي تتألف من مختلف الجنسيات من مثل العثمانيين والمغاربة واليونانيين وغيرهم، إلا أن هؤلاء كانت معاملتهم سيئة للناس وكانوا محط كراهية المصريين وبغضهم، وعلى وجه الخصوص الطبقة الفلاحية في مصر[٢١] .

وأسس نابليون المجمع العلمي المصري في الحادي والعشرون من آب عام ١٧٩٨ وتظهر أهمية هذا المجمع من إقامة حلقات البحث والندوات العلمية، وقد ضم أقساما عديدة منها قسم الأبحاث الرياضية والطبيعية وقسم الأبحاث الاقتصادية وقسم الفنون وأقسام أخرى[٢٢]، وكان الهدف من إنشائه نشر التعليم، فضلاً عن محاولته التقدم بمصر في مختلف المجالات العلمية[٢٣]، وقد صُمّم هذا المجمع وأسس على طراز المعهد الفرنسي، الى جانب ذلك فقد ركز الاهتمام على تنظيم الإدارة [٢٤].

وترافق ذلك مع استقدام مجموعة من العلماء الفرنسيين الى مصر للتنقيب عن آثارها والوقوف على أسرار طبيعتها المجهولة، وقد عثر الآثاريون الفرنسيون على اهم معلم تاريخي تمثل بحجر رشيد[٢٥]، وقد أيقظ ذلك في المصريين روحا جديدة ، وكان حملة العلم هم حملة الشرع وكانوا يتوهمون أنهم محيطون بالعلوم كافة ، فعراهم شيء من الدهشة وحب الاستطلاع عندما رأوا (الفلكيين) وأهل المعرفة والعلوم الرياضية والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحساب والمنشئين ، والمكتبة الجديدة التي أنشأها الفرنسيون وما حوته من المصنفات، والترحيب بكل من يريد المراجعة من المصريين للنظر في المعارف [٢٦]، كما شاهدوا التجارب العلمية الجديدة والمطبعة التي أتى بها نابليون بونابرت، والصحيفتين اللتين كان يصدرهما ، والمصانع والمنشآت الحديثة [٢٧].

ومن أهم أعمال الفرنسيين بمصر أنهم فحصوا أمر برزخ السويس وامكان شق ترعة بين البحر الأبيض والبحر الأحمر، فدرسوا المشروع دراسة دقيقة برئاسة مهندسهم لابير ,(LaBear) وكتبوا فيه تقريرا وافيا كانت له اكبر الفائدة للمسيو ديلسبس (Monsieur de Lesseps) الذي حفر الترعة فيما بعد في عهد الخديوي اسماعيل، ولم ينجز الفرنسيس هذا المشروع إذ ذاك لوقوعهم في خطأ حسابي توهموا فيه أن سطح البحر الأحمر أعلى من سطح البحر الأبيض بتسعة أمتار[٢٨].

وكانت لهذه الحملة أثر كبير في التقدم والحضارة الحديثة في مصر وكما يشير كلوت بك في كتابه المعنون "لمحة عامة إلى مصر": " **بأن مقدمة حركة الحضارة التي بدت آثارها الآن في الشرق هي الحملة الفرنسية في مصر** "[٢٩]، في إشارة لهُ أن الفضل في التقدم والنهضة في البلاد العربية وتحديداً مصر يعود إلى حملة نابليون على مصر، فضلاً عن ذلك فإنها تعد البداية الحقيقية في اتصال المشرق العربي بالغرب[٣٠].

لم يقتصر دور علماء الحملة على بقائهم في تلك المدة ، بل نجد ان قسماً منهم استمر بخدمة مصر، وأخذ يواصل عمله مثل السير آدم فرانسوا جومار(Sir Adam Francois Jomar)، الذي عاد الى مصر فيما بعد [٣١].

واحتدم التنافس الدولي في القرن التاسع عشر، وليبدأ صراع إستعماري محموم للإستحواذ على مصر[٣٢]، إذ حاول العثمانيون والفرنسيون والبريطانيون والمماليك كلهم في بسط نفوذهم على مصر [٣٣].

وكان لبريطانيا دور واضح في خروج الفرنسيين من مصر حفاظاً على مصالحها في الشرق الأقصى والهند على وجه التحديد، إذ دخلت القوات البريطانية خليج أبي قير[٣٤]، ودمرت الاسطول الفرنسي في معركة سميت بمعركة النيل (Battle of the Nile)، أو معركة خليج أبي قير (Battle of Abou Kir Bay) في ٢آب ١٧٩٨م،وهو اسم اختاره البريطانيون، وكان لهذه المعركة نتائج كبيرة أهمها تعميق الصراع المسلح الفرنسي – البريطاني، ولاسيما في البحر المتوسط من جهة، وقطع الاتصال بين الجيش الفرنسي وفرنسا من جهة أخرى [٣٥]، وهاجمت القوات البريطانية الاسكندرية واحتلتها ومن ثم اتجهت الى رشيد واستقرت فيها [٣٦]، ويدل ذلك الصراع المبكر في مصر على إدراك الأوربيين الأهمية الاقتصادية والعسكرية والسياسية لمصر، إذ كانت تشكل قاعدة فرنسية لتهديد الوجود البريطاني في الهند ، وباحتلالها من البريطانيين دلل على تمسك كلا الطرفين بالاستحواذ على مصر والتغلغل فيها لتحقيق مآربهم [٣٧].

وهنا بدأ الطور الأول من أطوار مسؤولية انجلترا نحو مصر، لقد كانت السياسة الانجليزية طوال القرن التاسع عشر ترمي إلى أن تكون جسماً وروحاً مع السلطان الذي كانت تنتحله مصر لنفسها من حين لآخر بتشجيع فرنسا[٣٨] ، فان فرنسا وان كانت أرغمت على الجلاء عن مصر عام ١٨٠١م فأنها كانت لايزال لها بمصر نفوذ، فهي التي كانت تمد ولاتها بالمستشارين على اختلافهم، والتي كانت مدارسها منتجع العديد الأكثر من شباب مصر، يتلقون فيها أصول

الحضارة الغربية، ولم يكن ثمة شك في أن طبقة الموسرين والحكام المصريين على أقل تقدير كانت تتفرنس على مر الزمن وان المسيرين لدفة السياسة الفرنسية كانوا يمنون أنفسهم بسط الحماية الفرنسية على مصر يوماً ما من طريق (التدخل السلمي)،هذا هو السر في تشجيعهم ولاة مصر على السعي في التحرر من وصاية الباب العالي، وهو السر في أن أنجلترا من جهة اخرى كانت تقاوم كل اشباه تلك المحاولات، وكانت انجلترا أيامئذ تقنع بحماية مصر من عدوان فرنسا، وبالرغبة في أن تبقى مصر داخل الدائرة الموهومة التي تضم أجزاء الدولة العثمانية[٣٩].

وهكذا أصبح مستقبل مصر السياسي أمرا يخص الدول الكبرى في الشؤون السياسية الأوروبية سيما بريطانيا وفرنسا ، فإذا كانت هزيمة الحملة الفرنسية في معركة أبي قير وصلح اميان (Emian) [٤٠] في السابع والعشرين من أذار عام١٨٠٢ قد فرضا على بريطانيا وفرنسا الانسحاب من مصر ، فإن هذا الانسحاب لم يترجم الى إنهاء أطماعهما في مصر، بل تلك الاطماع ظلت قائمة، ولكن وسيلة تحقيقها اختلفت، فلم تكن ظروف السياسة الأوروبية وموازين القوى فيه تسمح لأي من الدولتين تنفيذ مخططها لإحتلال مصر ، وهو ما فرض عليهما اللجوء للبديل التقليدي للاحتلال واستخدام سياسة جديدة ، تمثلت في خلق نظما وقيادات سياسية موالية لهما في مصر، فلم يخف على فرنسا وبريطانيا أن الدولة العثمانية غير قادرة على بسط سلطتها على مصر في ظل وهنها وهوان قوتها وحالها داخل الأسرة الأوروبية [٤١].

اصبحت مصر بعد عام ١٨٠٢ بلد يتصارع فيها الطامعون، وأصبحت البلاد تحت حكم سلطة ثلاثية مؤلفة من شخصيتين من المماليك تمثلت بمحمد بك الألفي[٤٢]،وعثمان البرديسي [٤٣]، والضابط الألباني محمد علي باشا[٤٤] دون ان يكون من بين هؤلاء من يستطيع ان يفرض كلمته ، ومن هو جدير بأن يكسب ثقة الشعب الذي كان يبحث عن رجل قوي ينقذ البلاد من نكبة استعمار جديد يتربص به، ولم يكن من خلق علماء ذلك العصر أن يسعوا الى الحكم ، كانوا أهل فضل ومعرفة وحق[٤٥].

استطاع محمد علي باشا كسب شعبية كبيرة في مصر، لذلك طالب المصريون بتوليته عليهم، وقد رضخ السلطان العثماني للمطالب الشعبية وتم تعيين محمد علي باشا والياً على مصر في تموز ١٨٠٥[٤٦]، وقد واجه مشكلات عدة بعد توليته المنصب كان من أهمها محاولة بريطانيا احتلال مصر في السادس عشر من آذار عام ١٨٠٧ عن طريق تجهيز حملة بريطانية بقيادة الكسندر فريزر (Alexander Fraser) [٤٧]، فواجه البريطانيون مقاومة شعبية من المصريين في محاولة لرفض الخضوع مرة أخرى للاحتلال [٤٨] .

النتائج:

تبين المعلومات الواردة في البحث والتي أفضت إلى جملة من التطورات السياسية لعل ابرزها هو المسألة المصرية، جعل مصر يعيش ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية غير مستقرة منذ الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م ، وقد كان هناك من الأسباب مايبرر إطلاق هذا الوصف على مصر، فاللفظ غالبا مايستخدم في السياسة الدولية للتعبير عن تداخل عدد من العوامل والدول لتحديد وضعية دولة أو منطقة، ويكون تدخل كل دولة ناتجا عن اختلاف المصالح والرؤى، وهذا ماحدث لمصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وأن الأفكار السياسية الغربية التي دخلت المجتمع المصري أدت الى ظواهر إيجابية وانها كانت ظواهر سلبية كذلك أثرت في استقلاله ووحدته وسلامة أراضيه، إذا كان هناك ثمة من فضل يمكن تسجيله قد تمثل بالانفتاح على الثقافة الاوربية ، نظراً لما تمتلكه من خبرات ومهارات وعلوم ومعارف لاغنى عنها، وأصبحت مصر اول دولة عربية تستقل عن الحكم التركي وتصبح دولة مستقله ذات حكومة وجيش وقوانين ونظام ضرائب .

بعد أن اتضحت لنا أبعاد المصالح والرؤى الأوربية، وبدأت فرنسا تواجه تنافساً كبيراً من الدول الأوربية الأخرى، ولاسيما بريطانيا وروسيا اللتان كانت هي الأخرى تطالبان بحق حماية الأماكن المقدسة في الشرق كذلك، وجب علينا أن نقر بأن الدول الاوربية باطماعهم هي حقيقة ماثلة أمامنا وأصبحنا نراها رأي العين سواء في الإعلام أو التعليم أو الحياة الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد والموروثات من لباس ونمط الحياة، وعليه فإن هذا يستدعى منا وقفة جدية ندرك فيها أن الذوبان في الأخر يمثل خطراً لا يمكن إصلاحه.

المصادر والمراجع:

١- إن الأوضاع في مصر على مدار حقب تاريخية عام ١٧٩٨وحتى عام ١٨٠٥،كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بما يدور في الشؤون السياسية الاوربية، تؤثر عليه وتتأثر به وتتفاعل مع جميع التطورات فيه، الأمر الذي جعل موضوعة المسألة المصرية تأخذ بعدا دوليا لاسيما عندما بدأت مصر تؤدي دورا مهما في التأثير على الأمن الاوروبي، ينظر: البدري، محمد عبد الستار، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي ، (دار الشروق، القاهرة،٢٠٠١)، ص٤٥.

٢- نوفل ،احمد سعيد، العلاقات الفرنسية – العربية، (شركة كاظمة للنشر والتوزيع، ط١، الكويت، ١٩٨٤)،ص٢٦.

٣- المفكر ليبنتز (١٦٤٦- ١٧١٦) من مواليد مدينة ليبزج الالمانية من أب قانوني وأستاذ للأخلاق بجامعة ليبزج، وأكمل دراسته الثانوية في مدينته وكانت رسالته للبكالوريا "١٦٦٣"في المسألة المدرسية المشهور "مبدأ التشخيص". ثم درس الرياضيات والقانون وحصل على الدكتوراه في القانون من جامعة اندورف بدراسة موضوعها "مشكلات القانون"، ينظر: ليبنتز، المونادولوجيا، ترجمة البير نصري نادر ،(دار المشرق، ١٩٥٦).

٤- قرقوط، ذوقان ، تطور الفكرة العربية في مصر ١٨٠٥- ١٩٣٦،(المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢)، ص٨٧؛ الوصيف، فرج محمد، مصر بين حملتي لويس ونابليون،(دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر- المنصورة، د.ت)،ص٣٣.

٥- كانت فرنسا تراقب عن كثب تطورات تلك الحرب، كما إنها كانت قلقة جدا من قرب انهيار الدولة العثمانية وتوزيع ممتلكاتها بين الإمبراطوريتين الروسية والنمساوية، لذلك فإن الحكومة الفرنسية أرادت أن تؤكد بان مصر يجب أن تكون من نصيبها، ومن بين الذين ترقبوا موعد انحلال الدولة العثمانية وخشوا من أن توؤل متملكاتها إلى يد بريطانيا وروسيا هو السفير الفرنسي في اسطنبول منذ عام ١٧٦٨ الكونت دي سانت بريست (De saint prest) ثم قنصل فرنسا في مصر جان باتيست مير (Juan Patest meer)ومن خلال ذلك ، تسابقت الدول الأوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا من اجل الاستحواذ على الممتلكات العثمانية.؛ لبيب، حسين، تاريخ المسألة الشرقية،(مطبعة الهلال، مصر،١٩٢١) ،ص ص٤- ٥؛ براون، كارل، السياسة الدولية والشرق الأوسط، ترجمة عبد الهادي حسين جياد،(دار الشؤون الثقافية العامة، ط١،بغداد،١٩٨٧)، ص٣١.

٦-نوار،عبد العزيز سليمان، مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما حتى نشوب الحرب العالمية الأولى،(مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ١٩٦٨)، ص٧٨.

٧- فظهرت مايسمى بـ" المسألة الشرقية": عرف المؤرخ العراقي الدكتور هاشم التكريتي بأنها ((النزاع الذي اشتد بين الدول الأوربية الكبرى في المُدّة من أواخر القرن الثامن عشر حتى انتهاء الدولة العثمانية في ١٩٢٣، حول النفوذ في تلك الدولة وصراع هذه الدول من اجل اقتسام ممتلكاتها، ومعنى ذلك أن المسألة الشرقية ظهرت نتيجة للأزمة العامة التي كانت الدولة العثمانية تعاني منها من جهة، واشتداد التوسع الكولنيالي للدول الأوربية في الشرق الأدنى من جهة أخرى))،

للتفاصيل ينظر: التكريتي ،هاشم صالح، المسألة الشرقية، المرحلة الاولى ١٧٧٤-١٨٥٦،(دار الحكمة، بغداد،١٩٩٠)، ص٢١.

٨- وهي أول معاهدة عقدت بين فرنسا والدولة العثمانية وتمثل بداية لتزايد الاهتمام الفرنسي في المنطقة العربية بصورة عامة ومصر بصورة خاصة وبموجب هذه المعاهدة حصلت فرنسا على امتيازات اقتصادية وسياسية وقضائية واسعة كان أبرزها حرية التجارة والملاحة للفرنسيين في الموانئ العثمانية وتخفيض الرسوم الكمركية وإعفاء التجار الفرنسيين من الخضوع للقوانين العثمانية، فضلا عن ذلك إعطائهم الحرية في ممارسة معتقداتهم وشعائرهم الدينية، ، فنالت فرنسا وبموجب هذه الامتيازات مركزاً ممتازاً في الدولة العثمانية، كما نشطت التجارة وأدت إلى أتساع النفوذ الفرنسي في الشرق؛ للتفاصيل ينظر: بك، رفعت، محمد، محمد علي الكبير يواجه الدول بعزمه على الاستقلال (مجلة الهلال،ج٤،أيار،حزيران،١٩٤١)،ص ص٤٩- ٥٠؛ نوار، عبد العزيز، تاريخ مصر الأجتماعي منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث، (دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت)،ص ص٧١-٧٢.

9- Brehier,L,(L,Egypte de 1798 a1900,Paris,1901),P.30.

١٠-رفعت ،محمد ، تاريخ مصر السياسي في الازمنة الحديثة، (المطبعة الاميرية ببولاق، القاهرة،ج١٩٣٤،١)، ص٥١؛ينظر:

J.C.B.Richmond, Egypt 1798- 1952, Colombia University Press,(New York,1977),P. 16.

١١- شارل تاليران : سياسي فرنسي ينحدر من أسرة نبيلة، انتخب نائباً في الجمعية ألتأسيسية في أيار ١٧٨٩ وأصبح عمدة باريس عام ١٧٩٨ تولى وزارة الخارجية في عهد حكومة ألإدارة مابين عامي ١٧٩٩و ١٨٠٧ وفي عهد نابليون كون الحكومة المؤقتة عام ١٨١٤ وأعلن سقوط حكومة نابليون، شارك في مؤتمر فينا عام ١٨١٤ ومؤتمر باريس عام ١٨١٥ عين سفيراً في لندن في المدة (١٨٣٠-١٨٣٥)، ثم عاد لباريس وتقاعد عن العمل السياسي بسبب تدهور حالته الصحية. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Chambers Dictionary of Word History, Edited by: Bruce Plenman, Great Britain, 1994, P.902.

١٢- المهتار، طلال ، آثار حملة نابليون على مصر ،(رسالة الجامعية اللبنانية ، بيروت ،١٩٦٢)،ص ص٤٠- ٤١.

١٣-يانج،جورج، تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، تعريب: علي احمد شكري، (منشورات مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠)، ص٢٨.

١٤-رمضان، عبد العظيم، تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث ،(الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج١،القاهرة، ١٩٩٧)، ص٤١١.

١٥-ويقال إنّ عدد علماء الحملة ١٤٦ عالم في بعض المصادر أو١٥٠ عالم في مصادر أخرى وهؤلاء العلماء في مختلف الاختصاصات، ينظر: فشر ،هربرت ، نابليون، ترجمة: محمد مصطفى زيادة ومحمد نوفل،(دار المعارف، مصر، ١٩٥٢)، ص ص٦٦- ٦٧؛ عبده، إبراهيم، تاريخ الوقائع المصرية ١٨٢٨-١٩٤٢،(مطبعة التوكل، ط٢، القاهرة، ١٩٤٢)، ص١٧.

١٦-أمبابة: هي قرية مصرية دارت فيها المعركة بين القوات الفرنسية والمملوكية انتهت بهزيمة المماليك الذين كانوا بقيادة مراد بك وإبراهيم بك وأيوب بك الدفتردار، أما الجانب الفرنسي فقد كان بقيادة الجنرال مينو(Meno) وديزيه (Dezea) و رمبون (Rimbone) أما نابليون فقد اكتفى بمتابعة سير المعركة، ومن أهم أسباب هزيمة المماليك في هذه المعركة هو

عدم تكافؤ قوتهم مقارنة مع القوات الفرنسية، ينظر: الاسكندري ، عمر ، وسليم حسن، تاري،ص خ مصر من الفتح العثماني (الى قبيل الوقت الحاضر)، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦)،ص٩٧- ٩٨؛

J.C.B.Richmond, op. Cit, P. 18.

١٧- الجبرتي ،عبد الرحمن ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، (دار الجيل، ج٢، بيروت، ١٩٧٨)، ص١٧٩.

١٨- عوض، احمد حافظ ، فتح مصر الحديث أو(نابليون بونابرت في مصر)، (مطبعة مصر، ط ١،، القاهرة، ١٩٢٥)، ص١٦٠ ؛ ريفلين ، هيلين ان ، الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر ، ترجمة : احمد عبد الرحيم مصطفى ومصطفى الحسيني ،(دار المعارف ،مصر ، ١٩٦٧)، ص٢٧.

١٩- ديبوي : قائد الحامية الفرنسية في القاهرة، الذي قتل في ثورة القاهرة الاولى٢١ تشرين الأول(أكتوبر) ١٧٩٨؛ ان من أهم الأسباب التي أدت إلى قيام ثورة القاهرة الأولى تتمثل بما يأتي: أ- قسوة الضرائب المفروضة من قبل الفرنسيين كذلك القسوة في جبايتها، ب- هدم بعض المساجد والآثار الإسلامية الأخرى وكان غايتها تحصين مدينة القاهرة، جـ- خشية الأهالي من بعض الإصلاحات التي قام بها نابليون والشك في العديد من الوعود التي قطعها لهم، د- هزيمة الفرنسيين في معركة أبي قير البحرية وسماع المصريين بأن الدولة العثمانية كان قد أرسل جيشاً لفتح مصر، لذلك فقد استفحل أمر الثورة واظهر فيها عامة الناس الرغبة في كسر شوكة الفرنسيين، فضلا عن دور الجامع الأزهر وعلماء الدين في ضرورة إعلان الجهاد والتخلص من الاحتلال الأجنبي، وفي هذا الصدد يشير المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي واصفاً الثورة: " كثر اللغط وتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم وأصبحوا يوم الأحد متحزبين وعلى الجهاد عازمين وابرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح والآت الحرب". ؛ينظر: يانج، جورج ، المصدر السابق، ص٣٩؛ رفعت، محمد، تاريخ مصر السياسي في الازمنه الحديثة ، المصدر السابق، ص٣٥.

٢٠- الاسكندري، عمر وسليم حسن، المصدر السابق، ص٩٩.

٢١- هيرولد، ج. كرستوفر ، بونابرت في مصر، ترجمة: فؤاد اندراوس، مراجعة محمد أنيس،(دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢)،ص ص١٩٧- ١٩٨.

٢٢- رؤوف، عماد عبد السلام ، حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨، محاولات لإعادة تفسير الحدث، (مجلة دراسات تاريخية، العدد الأول، بغداد، ١٩٩٩)، ص٧٤؛ينظر:

Tom Little, Modern Egypt, First Edition, London, 1967,P.30.

٢٣- أمر نابليون في ٢٢آب عام ١٧٩٨ بتأسيس المجمع العلمي، الذي يمثل مؤسسة علمية تضم في عضويتها علماء الحملة الفرنسية وكان من الأسباب الرئيسية لإنشاء هذا المجمع هي بحث ودراسة ونشر المعلومات الجغرافية والطبيعية والاقتصادية والتاريخية عن مصر؛ ينظر: الخيقاني، حيدر صبري شاكر ،الاوضاع الاقتصادية في مصر ١٨٤٠-١٨٧٩ (دراسة تاريخية)،(مطبعة الميزان، النجف الاشرف،٢٠١٥)،ص١٦؛

J.C.B.Richmond,op. Cit., P21؛ Tom Little,Op. Cit.,P. 30.

٢٤- أبو غازي، بدر الدين، محمود مختار مثال مصر الأول، (آفاق عربية، السنة الثامنة، العدد الثاني، بغداد، ١٩٨٢)، ص١٠٢.

٢٥- عثر على هذا الحجر بمدينة رشيد الواقعة على مصب فرع نهر النيل فى البحر المتوسط من قبل أحد هؤلاء العلماء ويدعى بيير بوشارد عام ١٧٩٩ وهي مدينة تبعد عن الإسكندرية ثلاثين ميلاً وحجر رشيد وجد عليه نقوش بلغتين

وثلاثة خطوط (الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية القديمة) وقد مكنت هذه الكتابات توما يونج (Thomas Young) عام ١٨١٤م وجان – فرنسوا شامبليون عام ١٨٢١م من وضع أسس منهج ترجمة النصوص الهيروغليفية ففتحوا بذلك أمام أوروبا "الحديثة" أبواب حضارة مصر القديمة المركبة والناضجة بشكل يدعو إلى الدهشة، و بذلك يكون اكتشاف حجر رشيد من أهم النتائج العلمية لحملة نابليون على مصر؛ينظر :

www.zuhlool.org/wiki

٢٦-قدمت الحملة الفرنسية خدمة كبيرة للمصريين، بأدخالها الطباعة الى مصر لاول مرة، في الوقت الذي كانت فيه الطباعة شيئاً غريباً لم يألفه المصريون من قبل ، فقد جلبت الحملة الفرنسية معها الى مصر مطبعتين، والاولى كان يقوم عليها المستشرق الفرنسي جون جوزيف مارسيل Joun Joseph Marcel بمساعدة ٣١ موظف ، وكانت حروفها فرنسية ويونانية وعربية، أما المطبعة الثانية فكانت تعود الى مواطن فرنسي يدعى مارك اوريل Mark Ourel ، وقد وصلت القاهرة بعد احتلال الفرنسيين لها مباشرة ؛ ينظر: هيرولد ، المصدر السابق،ص٢٢٨.

٢٧-الجبرتي ،عبد الرحمن ،عجائب الآثار في التراجم والأخبار، المصدر السابق،ص١٧١.

٢٨- الاسكندري ،عمر وسليم حسن، المصدر السابق، ص ص١٠٨-١٠٩.

٢٩- اشار بعض المؤرخين إلى أن بداية النهضة العربية يعود إلى الحملة الفرنسية على مصر، بينما يختلف آخرون في تحديد بدايات هذه النهضة وبدايات اتصال المشرق العربي بالغرب أو فضل أوربا على النهضة العربية. إن الحقيقة التي لا مراء فيها أن النهضة التي بدأها العرب كانت قد سبقت الحملة الفرنسية بوقت بعيد ويؤكد ذلك عدد من المستشرقين ومنهم (جورج سارتون) فقد أشار إلى انه: لا يخفى فضل العرب على الحضارة الإنسانية كما أكد اعترافه بفضل الحضارة العربية الإسلامية،وبذلك فإنه يمكن عد الحملة الفرنسية بأنها بداية اتصال العرب بأوروبا إلا انه لا يمكن عدها بداية للنهضة العربية ؛ ينظر: برج ،محمد عبد الرحمن ، دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر،(مكتبة الانجلوالمصرية، القاهرة، ١٩٧٤)، ص ص٣٠- ٣١؛ أمين، جلال احمد ، المشرق العربي والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية،(دار الخلود، بيروت، د. ت)، ص١٧؛الشيال ، جمال الدين ، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر،(مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٥٨)، ص١٩٦.

٣٠-يانج، جورج، المصدر السابق، ص٣٨.

٣١-ألرافعي، عبد الرحمن، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج١ ، ص١٢٥.

٣٢-الغنيمي،عبد الفتاح مقلد، دور مصر الحضاري في القارة الإفريقية قبيل الأستعمار الأوربي، (القاهرة، دار الموقف العربي، ١٩٢٢)، ص ص١٠-١١؛ الأسيوطي، أبراهيم محمد ، السودان الشقيق، (القاهرة، مطابع الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٠)، ص٧.

٣٣- هريدي، صلاح احمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر ٩٢٣-١٢١٣ هـ/٥١٧-١٧٩٨م، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط١ ، ٢٠٠٠)، ص ص٤١٩-٤٢٠؛ حسين، محمد عبد الرحمن، نضال شعب مصر (١٧٩٨-١٩٥٦)، (القاهرة، منشأة المعارف، ١٩٧٠)، ص٢١؛

Mohammed Rifaat Bey, The Awakening of modern Egypt, Vol.1, (London, Longmans Green, 1947), PP.1-12.

٣٤- الاسطول الفرنسي مكون من ١٣ سفينة و ١١٩٦ مدفعا و١١٢٣٠ ملاحا بينما الاسطول البريطاني كان مكون من ١٣ سفينة و١٠١٢ مدفعا و ٩٠٦٨ ملاحا، وقد استطاع الاسطول البريطاني القضاء على الاسطول الفرنسي بالكامل

ماعدا أربع بوارج، اضطرت الى الفرار والانسحاب بسرعة الى جزيرة مالطا، كما أسر البريطانيون ست سفن فرنسية استطاعوا ضمها الى اسطولهم ، أما خسائر فرنسا من الارواح فكانت كبيرة إذ خسروا ما يزيد على اربعة آلاف بحار، ولم يبق في سلاح البحرية سوى ثلاثة آلاف بحار من دون سفن، بينما خسائر بريطانيا لم تتجاوز ٢١٨ قتيل و٦٧٨ جريحا ؛ ينظر : يانج، جورج ، المصدر السابق، ص٣٠.

٣٥-زيدان، جرجي، تاريخ مصر الحديث من الفتح الاسلامي الى الآن مع فذلكة من تاريخ مصر القديم،(مطبعة الهلال بالفجالة،ج١، ط٢،مصر،١٩١١)،ص ص١٠٧-١٠٨.؛ الرفاعي، عبدالعزيز وحسين عبدالواحد الشاعر، الوحدة الوطنية في مصر عبر التأريخ، تقديم المهندس سيد مرعي،(عالم الكتب، القاهرة، د.ت)، ص٤٧.

٣٦-زيدان، جرجي، المصدر السابق، ص١٤٣.

٣٧-المصدر نفسه، ص ص١٠٧-١٠٨.

٣٨-بالفرمانات الممنوحة لخديوي مصر في المتفرقة في مصر، رقم ٤ (١٨٧٩).

٣٩-كانت سياسة انجلترا القديمة ان تحتفظ جهد طاقتها بما بين مصر وتركيا من صلة، وأن تمنع بذلك فرنسا أن يكون لها أي نفوذ كبير في القاهرة، من رسالة للمستر أدورد ديسي أرسلها الى التيمس ، ٢٥آب ١٨٧٩.

٤٠-صلح سلام وقعت بين بريطانيا وفرنسا وأسبانيا وهولندا في ٢٥ آذار ١٨٠٢، وكانت أشبه بهدنة دامت أربعة عشر شهراً من الحرب البريطانية-الفرنسية التي تواصلت طيلة عهد نابليون، وبموجبها تعهدت بريطانيا بأعادة مالطا الى فرسان القديس يوحنا، والكاب الى الهولنديين، وتعهدت فرنسا بالموافقة على سيادة الدولة العثمانية على مصر والانسحاب من نابولي. ينظر: الكيالي ، عبدالوهاب، الموسوعة السياسية، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج١، ط٢، القاهرة ، ١٩٧٩)، ص٣٣٧.؛ جرانت ، أ.ج وهارولد تمبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠، ترجمة: بهاء فهمي، (دار الحمامي، ط٦، القاهرة، ١٩٥٠)،ص١٧٣.

٤١-البدري، محمد عبد الستار،المصدر السابق ، ص٥٢.

٤٢-محمد بك الألفي (١٧٥١- ١٨٠٧): من أمراء المماليك في مصر ومن المؤيدين للنفوذ البريطاني في البلاد، إذ إبدى رغبته في التحالف مع البريطانيين ضد النفوذ الفرنسي في مصر وقد حاول اقناع بعض السياسيين البريطانيين بضرورة احتلال مصر، إلا أنه توفى في ٣٠ كانون الثاني ١٨٠٧ ؛ينظر: الاسكندري، عمر وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر، المصدر السابق ،ص١١٧ .

٤٣- عثمان البرديسي (١٧٥٨- ١٨٠٦): من أمراء المماليك في مصر إذ كان اتباعه من المؤيدين للنفوذ الفرنسي، وكان هؤلاء منافسين لاتباع محمد بك الألفي إذ ان معظمهم من القوات العثمانية المرابطة في مصر ذات الأصول الألبانية، وتفرق هؤلاء بعد وفاة زعيمهم في شباط ١٨٠٦؛ ينظر : الاسكندري، عمر وسليم حسن، المصدر نفسه،ص١١٧

٤٤-محمد علي باشا (١٧٦٩- ١٨٤٩): والي مصر ولد في مدينة كافالا في مقدونيا والتي كانت خاضعة للدولة العثمانية آنذاك، جاء إلى مصر مشاركاً مع القوات العثمانية لمحاربة الفرنسيين في مصر عام ١٧٩٨ وبعد رحيلهم أصبح احد المنافسين على السلطة في مصر، وفي حلول عام ١٨٠٥ تولى منصب والي مصر ، وقد أتسم عهدة بإحداث بارزة، لاسيما بعد ممكن من القضاء على منافسيه على السلطة عام ١٨١١ ليؤسس أسرة حاكمة استمرت طيلة القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين. للمزيد من التفاصيل أنظر:بدوي، عبد الرحمن، تاريخ مصر وحضارتها،(القاهرة، ط١، ج ١٤، ٢٠١٠)، ص ص ١٨٠- ١٨١ .

٤٥- بدوي، عبد الرحمن، المصدر السابق، ص٨١.

46- Hassan, Hassan, in The House Muhammad Ali A Family Album (1805- 1952), Now York, 2000, P.5.

٤٧-الكسندر ماكنزي فريزر :(1758- 1809) Alexander Mackenzie Fraserقائد بريطاني ولد في اسكتلندا، ألتحق بالخدمة العسكرية عام (١٧٧٨)، وشارك بحرب ألاستقلال ألأمريكية للمدة (١٧٧٥- ١٧٨٣) وعمل في هيئة ألأركان الرئيسية خلال الحقبة (١٨٠٣- ١٨٠٥)، وتوفى في ١٣(أيلول ١٨٠٩) . للمزيد من التفاصيل أنظر :

Internet, Wikipedia, Alexander Mackenzie Frase.

48- McGregor, Andrew, A Military History of Modern Egypt, London, 2006, P. 54 .